واقع الاندماج الاجتماعي للنخبة ودورها في بناء المجتمع الجزائري قراءة سوسيولوجية

ملخص

لا يخلو الحراك الاجتماعي في جميع دول العالم من الدور المؤثر الذي تلعبه النخبة، التي غالبا ما تكون طرفا فاعلا فيه. حيث تؤثر في بناء المجتمع وتدعيم أسسه. لم تقتصر مساهمات النخبة بمختلف أصنافهم من مفكّرين وجامعيّين وأساتذة، باحثين وإطارات وغيرهم...، على عصر معين، بل شملت كل العصور، فهي تمثل فئة ثقافية وفكرية وعلمية تساهم في التغير "الاجتماعي والتطور العلمي وتقدم المجتمع. ولذلك توصف النخبة بأنها" فئة واعية وملتزمة اجتماعيا"، تؤطر سلوك الفرد والجماعة، ما يعطي قيمة لدورها التاريخي والتنموي، ما تملكه من وعي اجتماعي يمنحها رؤية المجتمع وقضاياه من زاوية شاملة، ويشكل الفعل الذي يؤكد القيم السليمة، ويغرس القيم الإيجابية بدلاً من تلك السلبية. النخبة لن تقوم بفعلها المنوط بها ما لم يتوفر فيها الوعي الاجتماعي وتتسم بالعقلانية بما يتوافق مع التنوع المحلي والوافد الثقافي. لذلك فان إشكالية النخبة ودورها القيادي في العالم العربي عموما والجزائر خصوصا تتمثل في امتلاكها لنخبة تفتقد صحوة فكرية تتلاءم ونمط الحياة الجديدة حيث تؤثر في عمليات الممارسة الفعالة التي تتحكم في مختلف الموارد البشرية والمادية والمالية والمعنوية. والتساؤل المطروح هو: هل تقوم النخبة في الجزائر بدورها المؤثر في بناء المجتمع الجزائري وتدعيم أسسه؟

الكلمات المفتاحية: التغير الاجتماعي، النخبة، المجتمع الجزائري.

د. نوال رويمل

المدرسة العليا لعلوم التسيير- عنابة - الجزائر

Abstract

In all countries of the world, societies benefit from the influential role played by the elite class through social mobility. This active class has a positive impact on community building and strengthens its foundations. Contributions of different kind of elites as: thinkers, professors, researchers and others are not limited at a certain age, but

مقدمة

إذا تأملنا تجارب وتواريخ المجتمعات، نجد أن كل مجتمعا في التاريخ القديم و الحديث لديه نخبة أنجزت الخطوة الأكبر في وضع المجتمع ضمن سياقات سياسية وثقافية جديدة وأكثر تطوراً يعيش ضمنها المجتمع، فحدثت

© جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، الجزائر 2015.

included all ages which represent a cultural, intellectual and scientific category that leads social mobility, scientific development and progress of society. Therefore, elite person is described as "A person committed and socially conscious" oversees individual and group behavior what gives value to its historical and developmental role and this through his/her social awareness which bids him vision of society and its issues from a comprehensive approach and poses the act that confirms flawless values and instills positive ones instead of those negative. Elite won't do what is intended from him/her, unless He/She has a social consciousness characterized by rationality in accordance with local cultural diversity and newcomer culture. Therefore, the problem of elite and leadership role in the Arab world in general, and especially Algeria is that it includes an elite class with a lack of elite awakening which does not fit new style of life and affects effective practice of that control in various human, material, financial and moral resources.

The question arises: Does the Algerian elites play influential role in the construction of the Algerian society and strengthen its foundations?

Keywords : Social mobility , Elite class, Algerian society.

تطورات في تاريخ البشرية وأظهرت عوامل تقلب المقاييس الإنسانية، وتغيَّر في تفكير الإنسان ونظرته إلى الحياة. فظهرت اتجاهات فكرية جديدة نتيجة لعوامل متعددة ومتشابكة، ومجموعة من الظواهر التي تعم المجتمع كله، نذكر من أهمها، حركة الإصلاح، والمطالبة بتقرير حرية الفرد واستقلاله، الدعوة إلى التحرر من الجمود الذي أصاب العقول، وإلى منح الفكر الإنساني روح القوة الحيوية، حيث لعبت الاكتشافات العلمية دور في توسيع رقعة العالم، وذهبت بآفاق الناس وإدراكهم للكون إلى أفسح مجال. وبهذا تقوم بإحداث تغيير في ثقافته الشعبية عن طريق التنوير، فلا يمكن لنا تفسير عمليات التحديث في العصر الحديث عند كل المجتمعات بدون الحديث عن **"دور النخبة في المبادرة"** فهي من أكثر الأفكار عمقا في التحليل السوسيولوجي...فالنخبة عموما تظهر نتيجة ظهور مجموعة من الأفراد الذين يرون ضرورة التغيير وتحرير العقول والأفكار وتقرير قيم ما يصح ومالا يصح من المعارف الإنسانية سارية المفعول. حيث نجد أن في كل حضارة صفوة من المجتمع يعملون على تقديم معارفهم بكفاءة عالية وتقديم الحلول لما يظهر من مشكلات. قد تكون النخبة سياسية أو ثقافيّة أو مهنيّة أو ماليّة أو دينيّة أو تربويّة أو إعلاميّة أو فنيّة لا تبغي الحكم، لكنّها من دون أن تدري تؤثّر في سير المجتمع، وتوجهه فالنخبة مجموعة من الأفراد يتمتّعون بالمواهب والحكمة والمهارات والعلم والمال والخدمات الاجتماعيّة والإنسانية.

وبهذا يمكن القول أن الغرض الأساسي من وجود النخبة هو القيام بدورها التنويري و التغيير وهذا ليس عملاً هامشياً، كل من يقرأ التاريخ يدرك هذا، ولكن التنوير والتنظير والتغيير يجب أن يتناول كل الأنظمة الاجتماعية سواء كانت أخلاقية، اجتماعية، سياسيه، اقتصاديه، تربوية...، ويكون الهدف الأساسي دائما هو مصلحة المجتمع و الأمن والاستقرار، فعلى المستوى الاجتماعي إعداد النخبة ما هو

إلا وسيلة من وسائل إصلاح المجتمع.أما على المستوى الفردي النخبة أساس العملية التغيير في المجتمع والمحافظة على توازنه ويجب الاهتمام بهم وإعطائهم فرصة لتقديم خدماتهم، لأن الإنسان بطبعه اجتماعي ولا يستطيع العيش بمعزل عن المجتمع، كما أن تقدم المجتمع وازدهاره يعتمد بالدرجة الأولى على تقدم أفراده ومستوى الوعي لديهم.

ترتبط مواصفات الصفوة وتتغير بتغير المجتمع التي يتميز بإيديولوجية وثقافة معينة، باعتبار النخبة تعمل على تدعيم نظام الحضارة، وتدعوا إلى قيمها، وفي كل حضارة تقوم صفوة المثقفين بإمداد المجتمع بالأفكار والفنون التي تعمل على تدعيم الاستقرار والوحدة، وبث روح الحماسة والانتماء وتنمية الذوق الرفيع، من أجل ذلك جاءت الحضارة الجديدة تطلب من المفكرين الاتجاه إلى أدوار أوسع وأشمل، وفي كل حضارة تقوم صفوة الأثرياء بتدعيم قيم هذه الحضارة، وذلك بإقامة المنشآت التي تدعو إلى معتقداتها وتشجيع معتنقيها وتحفيز المتفوقين في مهاراتها،عن طريق إنتاج الخدمات والمعلومات وهو إنتاج يختلف في طبيعته عن السلع ويحتاج إلى إدارته إلى ألوان جديدة من الكفاءة والموهبة.

لذلك نجد أن النخبة تعد من القضايا المهمة في العصر الحديث نظرا لأهميتها في تطوير البلاد وتغييره نحو الأفضل للمجتمع والأفراد على حد السواء، حيث يؤكد المختصين في علم الاجتماع السياسي أن المجتمعات النامية لازالت بحاجة إلى نخبة سياسية وثقافية لها التأثير الفعال والايجابي. لذلك فان إشكالية النخبة ودورها الاجتماعي في العالم العربي عموما والجزائر خصوصا تتمثل في امتلاكها لنخبة ثقافية تفتقد صحوة قيادية تتلاءم ونمط الحياة الجديدة حيث تؤثر النخبة في عمليات الممارسة الفعالة التي تتحكم في مختلف الموارد البشرية والمادية والمالية والمعنوية .وقد شهدت النخبة الجزائرية تحديات كبيرة من الاستقلال إلى يومنا هذا، لكن للأسف تأثيراتها لم تستجب لتحديات العولمة وعليه هذا البحث موجه للتساؤل التالي: **ما واقع الاندماج الاجتماعي للنخبة في المجتمع الجزائري؟**

أولا: تعريف النخبة أو الصفوة: تُعرّف القواميس "النُخبَة" بالجماعة المُميّزة أو الأفضل والأحسن." وهي من نخب، انتخب الشيء: اختاره، ونخبة القوم: خيارهم (1) ، كما تعرف بأنها فئة قليلة داخل المجتمع، لها مكانتها الاجتماعية العالية، وتؤثر أو تحكم بعض أو كل شرائح المجتمع الأخرى، " أقلية من الأفراد تتمتع بنفوذ كبير في المجتمع و بعدد من الامتيازات(2).

أما القواميس الفرنسية فعرفتها بأنها: تضم أشخاصاً وجماعات تشارك في صياغة تاريخ جماعة ما، بواسطة القوة التي يمتلكونها، أو التأثير الذي يمارسونه، سواءً كان ذلك عن طريق اتخاذ القرارات، أو الأفكار التي يتخذونها شعاراً لهم (3).

أما اصطلاحا فتعرف النخبة بأنها" جماعة من الأفراد يشغلون مراكز النفوذ والسيطرة في مجتمع معين، أي الفئة العليا في أحد ميادين التنافس، فالصفوة تضم

البارزين والمتفوقين بالقياس إلى غيرهم، ما يجعلهم قادة في ميدان معين، بذلك يمكن أن نشير إلى صفوة سياسية، وصفوة في العمل، وصفوة في الفن أو الرياضة، وصفوة علمية، وصفوة اقتصادية، إلى غير ذلك من الميادين (4) .أي جماعات وظيفية ومهنية بصورة أساسية تتمتع بمكانة اجتماعية عالية في المجتمع .

أمّا المفهوم السوسيولوجي للنُخبة فهو أنّهم عدد قليل من الأشخاص الّذين يتمتّعون بمواقع سياسيّة أو قياديّة متقدّمة ويحكمون الأكثريّة المؤلّفة من عامّة الشعب، وبين هؤلاء من ينال موقعه بالولادة والنسب، ومنهم من يناله بشرائه، أو بفرضه بالقوّة. ميّز الفيلسوف والعالم "فيلفريدو باريتو" (1848-1923) بين فريقين من النخبة، النخبة الحاكمة تضم أولئك الذين يلعبون دورا بارزا ومباشرا في تشكيل سياسة المجتمع والنخبة غير الحاكمة تتألف من الذين لديهم قدرات ومواهب خاصة ،ولكنهم ليسوا في مراكز القوة، ويرى باريتو أن النخبة الحاكمة تتميز بالذكاء والدهاء أما النخبة غير الحاكمة فتتسم بالقوة والاستقرار والتكامل، (5) والسياسة بلا شك بحاجة لكليهما،ويُجاهد الّذين يحكمون في المحافظة على مكانتهم، بينما ينتظر الّذين لا يحكمون إلى أن يتعب الّذين يحكمون أو يُكثِروا من إساءة الحكم ليثوروا ضدّهم ويأخذوا مكانهم.

كما تعني أيضا الأقلية المنتخبة أو المنتقاة من مجموعة اجتماعية (مجتمع أو دولة أو طائفة دينية أو حزب سياسي) تمارس نفوذا غالبا في تلك المجموعة عادة بفضل مواهبها الفعلية أو الخاصة المفترضة. "فهي جماعة من الأفراد معروفة اجتماعيا ولها خصائص وسمات ذات قيمة معينة كالمقدرة العقلية أو الوضع الإداري المرموق أو القوة العسكرية وهي خصائص ترتبط بدرجة عالية من الهيبة والنفوذ. (6)

ووفقا لهذا التعريف قد تتماسك النخبة كجماعة قد تكون موضع تقليد العامة دون أن يكون لذلك أثر واضح في توجيه السلوك بطريقة سياسية مباشرة

لهذا يميل بعض الباحثين إلى أن تعريف الصفوة يعتمد على أربعة أبعاد رئيسية وهي:

- ✓ وجود مجموعة سائدة تملك من الخصائص والصفات ما يميزها عن الآخرين.
- ✓ أن الصفوة ظاهرة جماعية، فلا يطلق الاصطلاح على شخص واحد فقط.
- ✓ أن هذه المجموعة تملك من القدرات ما يمكنها من صنع القرار والتأثير في الآخرين.
- ✓ أن الصفوة مفهوم نسبي، بمعنى أنها تمارِس تأثيرها ونفوذها في مجال معين تتمتع فيه بميزة نسبية وبقدرة أكبر على التأثير والنفوذ.

رابعا: الاندماج الاجتماعي للنخبة في المجتمع الجزائري: التجربة الجزائرية في

التحول الديمقراطي قامت على الجدل بين النخبة والدولة والمجتمع أو على ما نسميه "التجربة التاريخية" وهنا تظهر الفروق بين المجتمعات، وهي فروق تظهر التميز والخصوصية بين دولة وأخرى في طريقة التسيير والتفكير والأهداف، وحين فشلت تجربة التحديث في الجزائر، كان السبب عدم فهم لمعنى "عملية التحديث" والدليل على هذا أن المجتمع الجزائري مازال إلى يومنا هذا لم يصل إلى تحقيق الأهداف التي سعى إلى تطبيقها منذ الاستقلال إلى يومنا هذا.

ويرجع السبب الرئيسي حسب بعض المحللين الاجتماعيين أن النخبة في الجزائر كانت منقسمة إلى قسمين :

النخبة التقليدية أو المعربة التي تضم المثقفين التقليديين والعلماء والمجاهدين، وهي النخبة التي حافظت على انتمائها الحضاري واستمرت في اتصالها مع المدارس العربية الإسلامية، الذين يعارضون فكرة ذوبانهم في شخصية المستعمر، وعارضوا التجديد على الطريقة الفرنسية التي تحمست لها النخبة الجديدة أو المتفرنسة حيث كانوا يشعرون بضرورة المحافظة على تراث أجدادهم، **ونخبة متفرنسة أو النخبة الجديدة** وهم المدافعون عن فرنسا في الجزائر والمتحمسين الأوائل لفكرة الإدماج مع دعاته الأصليين من الجمهوريين، فارتموا في أحضان الحضارة الفرنسية، وتجاهلوا حضارتهم العربية الإسلامية حتى يصبحوا في مصاف الفرنسيين من حيث وضعهم الاجتماعي، وهناك من يعطي المثل في التاريخ بفرحات عباس الذي أصدر مقال سنة 1936 بعنوان أنا فرنسا (7). كما كتب فرحات عباس يقول :" كانت كتبنا تصور فرنسا كرمز للحرية وكنا ننسى في المدرسة جراح الشارع وبؤس الدواوير لنسير مع رجال الثورة الفرنسية في شوارع التاريخ الكبرى". (8) ومنه فالنخبة المتفرنسة" هي جماعة تحسن اللغتين وينتمون إلى الطبقة المثقفة فأصبحت مشتتة بين الحضارتين عربية و فرنسية (9).

بدأت النخبة الجزائرية المنقسمة إلى قسمين عملها بتحديد هدف أساسي وهو إلحاق المجتمع الجزائري بغيره من الشعوب المتطورة، بدءا بالقضاء على مخلفات السياسة الاستعمارية التي هدفت إلى" التهميش والتفقير والتجهيل" حيث كانت نسبة البطالة في المجتمع الجزائري بعد الاستقلال تقدر بـ 70% و نسبة الأمية تقدر بـ 80% ." (10) فوجد المجتمع الجزائري نفسه بعد الاستقلال أي بعد سنة 1962 متخلفا عن ركب الحضارة العالمية المعاصرة، ولكي يلحق بغيره من الشعوب المتطورة كان لزاما عليه أن يثقف أبناءه فخصصت ميزانيات ضخمة للتربية والتعليم. (11) من أجل تكوين مواطنين مثقفين يمكن الاعتماد عليهم في تدعيم استقلال الجزائر و بناء دولة جزائرية قوية، وطبعا بوجود نخبة في المستوى يمكنها الصمود أمام التحديات، لكن تحركها كان ينقصه تحليل الأوضاع بالاعتماد على تفكير عميق، كان تحركها بطريقة آلية استجابة لظروف اقتصادية وسياسية واجتماعية ظرفية فرضت على النخبة

ضرورة إقامة نظام يتلاءم وروح التقاليد والعادات الجزائرية. واختارت النخبة نمط التسيير الاشتراكي الذي اعتبرته الأنسب لتسيير البلاد والذي يقوم على مبدأ أن المواطن هو الغاية، و محاولة رفع مستوى المواطن اجتماعيا واقتصاديا. لكن للأسف نتج عنه سوء تسيير وتأطير داخليين للمؤسسات نظرا لطرق العمل التي تبتعد كثيرا عن" فن الإدارة الحديث .... (12) والتي ارتبطت حسب بعض المحللين الاجتماعيين والاقتصاديين بغياب الإطارات المتكونة وإن وجدت فهي تفتقد إلى الخبرة المطلوبة والبيروقراطية ولم يتجهوا إلى تطبيق الأساليب الجديدة في التسيير. فتركزت وظيفة النخبة في العمل على المساهمة في خلق شروط الاستقرار السياسي للبلاد دون البحث عن التطوير والتحديث. ليتضح بعد سنوات أن التغيرات الاجتماعية السريعة التي ارتبطت بالحراك الاجتماعي في شكله الأفقي والعمودي "أثرت بوضوح في المنظومات القيمية والمعيارية" وكانت إحدى النتائج التي رافقت تلك التحولات إنتاج نخب اجتماعية ارتبطت بعمليات الحراك السريع وبصيرورة تفاوت اجتماعي لم تفتأ حدته في التزايد ونطاقه في الاتساع مع مرور السنين.(13) فوجدت الجزائر نفسها تتجه بخطى سريعة نحو الابتعاد عن تكوين ثقافة سياسية عصرية وترجمتها في ممارسات رشيدة، جعلها تؤثر بوضوح في عدم بروز نخبة قادرة على المنافسة الموضوعية التي تحددها ضوابط وقواعد ويكون أساسها المصلحة العامة للدولة والمجتمع، فتأزمت العلاقة بين الدولة والمجتمع والنخبة بسبب فشل مشروع التحديث بالجزائر الذي لم يتحول إلى واقع ملموس وبقي على مستوى الخطاب الإيديولوجي، فالطموحات والتوقعات كانت أكبر مما يمكن لمؤسسات الدولة من تحقيقه، فالجزائر بعد الاستقلال أرادت أن تكون دولة كبيرة وقوية بسرعة، في حين أن التسرع وحرق المراحل لا يقود إلى النجاح.

تسارعت الأحداث في الجزائر حيث شهدت في الثمانينات تغيرات ملحوظة في المسار العام للنخبة التي أظهرت تناقض واضح بين الخطاب والممارسة فهي تدعم وتدعوا إلى العدالة الاجتماعية والتقدم الاقتصادي إلا أن الواقع عرف" فشل وتيرة النمو الاقتصادي والاجتماعي بالتالي عدم تحقيق الأهداف التنموية، وعدم تحقيق مستوى معيشي مرتفع خاصة سنة 1986 حين ظهرت الأزمة الاقتصادية والاجتماعية الخانقة التي حلت بالجزائر بعد انهيار سعر النفط في السوق الدولية. حيث وقعت المؤسسات في ضعف المردودية وقلة الفاعلية وارتفع مستوى البطالة في الجزائر نتيجة العجز في خلق مناصب عمل جديدة وتسريح العمال، فخرج الشعب الجزائري في انتفاضة أكتوبر 1988 فتكثفت المحاولات للإسراع بالإصلاحات الاقتصادية، إلى جانب مشروع الإصلاح السياسي الذي بدأ بالاستفتاء على دستور فيفري 1989. لأن النخبة أهملت معرفة تركيب المجتمع وصفاته ودراسة المواطن وكل ما يتعلق به كما أنها فسرت الأزمة بفشل نمط التنظيم الاقتصادي السائد وتجاهلت البعد السياسي والاجتماعي للأزمة. فاعترفت النخبة الجزائرية سواء كانت الحاكمة أو السياسية أو الثقافية بفشل التسيير الاشتراكي واتجهت النخبة للمطالبة بضرورة إتباع سياسة

إصلاحية " لتطوير وترقية التسيير الإداري والتربوي والمالي والاجتماعي وجعله من متطلبات المجتمع المتجددة وتسليط الضوء على ما هو غامض وتبادل الخبرات والتجارب بفضل الحوار المفتوح والبناء وتوحيد التصور وطرق العمل.

إلا أنه خلال هذه المرحلة هيمنت النخبة البيروقراطية في الجزائر وأصبحت تمارس احتكارا إداريا جعلت العمل الإداري يتصف بالتصلب والجمود والبطء، وأصبح المواطن الجزائري الذي تقل خبرته بالتنظيم الاجتماعي والسياسي يعيش حياة معقدة ومتعبة لما يعانيه الشعب من ركود وخضوع لسيطرة النخبة البيروقراطية، وتراجع دور النخبة الثقافية بشكل ملفت للانتباه، التي من المفروض أن تسهم في ابتكار ونقد ونقل الأفكار لتكون طليعة في التغيير والتجديد وتطوير نظرة موضوعية عن المجتمع والمساهمة في إيجاد حلولا للمشكلات قصيرة المدى، انعزلت فكريا وثقافيا وتحولت إما إلى جماعة تتصف بالإقصاء والغلق أو تحولت إلى جماعة صامتة تهتم بمصالحها الخاصة.

بدأ التحول الديمقراطي بالجزائر سنة 1989 فبدأت التغيرات الهامة التي حدثت خلال التحول نحو الديمقراطي في المسافة الفاصلة بين النخبة والجماهير، على أساس أن النخبة الديمقراطية تستند إلى قاعدة شعبية حيث يعرف شومبير الديمقراطية بأنها" ذلك الترتيب النظامي الذي يستهدف التوصل إلى قرارات سياسية ويكتسب من خلالها الأفراد القوة على اتخاذ القرار في إطار صراع تنافسي من أجل أصوات الجماهير" (14) وظهرت التنظيمات الحزبية العديدة التي من خلالها انقسمت الطبقة السياسية على نفسها ودخلت للمنافسة من أجل الحصول على أصوات الشعب وبهذا نتذكر ما قاله ميلز في مؤلفه عن صفوة القوة " أن المجتمع الحديث قد تحول إلى مجتمع الجماعات الصغيرة ذات القوة والنفوذ والتي يمكنها التأثير على صنع القرارات السياسية، وتلجأ إلى خداع الجماهير لتظل في حالة سكون وهدوء ويبقى الوضع القائم محافظا على توازنه".(15)

وفي جوان 1990 وقعت أول انتخابات تعددية في تاريخ الجزائر وهي انتخابات محلية لتعيين مجالس البلديات والولايات ظهرت بفعلها النخبة الدينية في الجزائر، والتي أصبحت لها سلطة على قلوب الناس، تأثر بها الشعب الجزائري بشكل كبير والتي اتخذت أشكال مختلفة كجمعيات اجتماعية أو أحزاب سياسية، حيث شاركت هذه الأخيرة في الانتخابات التشريعية والتي فاز بها حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ والذي يمثل قادته النخبة الدينية. ونتيجة الصراع بين النخب في الجزائر ونتيجة الضغوطات التي مارستها آنذاك استقال رئيس الجمهورية وألغي المسار الانتخابي، فوجدت الجماهير نفسها تائهة وحائرة بين ما تقوله النخب المتصارعة، وانتقلت قيادة النخبة الدينية من النخبة ذات التوجه الوسطي إلى النخبة الدينية المتطرفة، فدخلت الجزائر فيما يعرف بالعشرية السوداء فظهر ما يعرف بالإرهاب والذي جعل الجزائر تعيش على فوهة بركان منفجر، فكثر الإجرام والعنف في المجتمع الجزائري، واستمر

تأزم الأوضاع أكثر وأكثر واستمر العجز المالي للمؤسسات وغلق باب التشغيل إلى جانب التدهور البارز في خدمات القطاع الصحي، و التدهور المستمر على مستوى قطاع التعليم وظهور مشكلات اجتماعية عديدة منها السكن وتدهور مستوى المعيشي ... إضافة إلى زيادة الهجرة الريفية نتيجة لغياب الأمن في المناطق النائية والريفية وما نالهم من تهديد وسلب للأموال و عمليات القتل الجماعي والتخريب على يد الإرهاب... فصدم الشعب الجزائري مما حصل فقد دفع الثمن غاليا بسبب التسرع في إقامة التعددية دون أن تكون للنخب الجزائرية القدرة على استيعاب مضمون الديمقراطية ومبادئها وممارستها الفعلية واحتواء التعددية الحزبية وبالتالي احتواء الاختلاف في الرأي والطرح والفكر وغياب الحوار القائم على الإقناع بالحجة والمناقشات المبنية على الجدل والدفاع عن الأفكار وقبول نقدها التي تعد أهم أسس الديمقراطية.

وباعتبار الديمقراطية نظام للحكم وأسلوب لعمل والتفكير وسلوكا اجتماعيا يكتسبه الفرد من مختلف مؤسسات المجتمع وتبدأ بطريقة تدريجية في ممارسات أخلاقية وتربوية وسلوكية لتنتقل إلى مستويات أعلى إدارية كاعتماد الكفاءة والفاعلية في التوظيف وتطبيق مبدأ المساواة وعلى المستوى الاجتماعي تعني الاعتراف بحق المواطنة والمساواة بين المواطنين بغض النظر عن تمايزهم الجنسي أو العقائدي وعلى المستوى السياسي الاعتراف بالإرادة الحرة للأفراد وحقوقهم المدنية والتداول على السلطة بطريقة ديمقراطية سلمية.

وطرحت النخبة الحاكمة ضرورة الضبط والسيطرة السياسية وحاول الرئيس الحالي تجسيدها في فكرة المصالحة الوطنية التي طرحها وقبلتها النخب السياسية والثقافية والدينية والذي صوت عليها الشعب في سنة 2000 ووافق عليها أغلب الجزائريون، توجت النخب السياسية والثقافية لتأييد النخبة الحاكمة الجزائرية إلى محاولة التغير نحو الأحسن في كل المجالات بدءا بتحسين المستوى المعيشي للمواطنين والقضاء على الفقر، والبطالة...لتبرز قيم جديدة في المجتمع منها قيم الصراع، حب المصلحة، حب المال، وأعطت للفرد حرية أكبر في التصرف واستخدام الوسائل المختلفة للثراء السريع، ويمكن تفسير ذلك أن التغير والتطور يمر بمراحل عديدة منها مرحلة إدراك الحاجة للتغيير تليها مرحلة البداية في التخطيط للتغيير وأخيرا مرحلة إدماج التغيير في صيرورة المنظمات والرجوع إلى حالة التوازن (16) ويبدوا أن النخبة الجزائرية لم تأخذ هذه المراحل بالاعتبار، سارت في طريق التغيير دون إدراك لآليات التغيير وآليات تطبيقها.

ومع استمرار التغيرات في الجزائر ظهرت النخبة التي بقيت تكرس الواقع، وأصبح يكثر الحديث بين الناس عن النخبة التي من المفروض أن تكون مثالا يحتذى به، متورّطون بالفساد، كلّ على مستواه، وأصبحت النخب الثقافية الجزائرية وخاصة خريجي الجامعات تعيش اضطراب فكري وتشتت في تفكيرهم واتجهوا إلى تحميل

المجتمع مسؤولية الفشل في السياقات السياسية والثقافية و الاقتصادية، وبالتالي كثرت الشكوى دون أن يكلف أحد نفسه بتوجيه السؤال المهم : لماذا تعيش النخبة الجزائرية هذه الوضعية؟ وربما السبب هو عدم وعي النخبة بضرورة الإيمان بفكر جديد يؤهلهم لإصدار قرارات صحيحة، لذا فإن كل المشكلات الاجتماعية المختلفة من "التعصب الديني، حب المصلحة الضيقة، جمع المال، استغلال النفوذ تراجع فعالية التعليم... الخ ، يجب أن تعيها الصفوة الجديدة كل الوعي و تجد حلول لها من خلال:

1) تعليم جديد يشجع الفكر الحر والإبداع ويعمل على تكوين نخبة جديدة تشارك ولا تعادي تنجح في كشف الرهانات وتجعل تماسك المجتمع ومصلحته فوق كل اعتبار من أجل المساهمة الفعالة في معالجة القضايا المستعجلة عن طريق تجاوز الفكر الضيق والمتطرف والتعصب .

2) القضاء على التسيير التقليدي بالقضاء على البيروقراطية والمركزية والنمطية والتخصص الشديد واستبداله بآخر حديث يساعد في تجسيد الدولة الحديثة وإرساء دعائم مجتمع الديمقراطي حديث ومستقر بدل ترديد مقولة أن النخب الجزائرية لم تنضج بعد لممارسة الديمقراطية.

الخاتمة

يرجع عدم قدرة المجتمع الجزائري على التقدم في عصر التغيرات لعدم الوعي بنوع المستقبل الذي يفرض نفسه والجهل بالحاجات الجديدة للمجتمع. فعندما يسود هذا الجهل وتنعدم الرؤية الصحيحة للمستقبل، تنعدم القدرة على التقدم ويحكم على المجتمع بأنه متأخر.

تبرر النخبة عجزها وكسلها وفشلها في خوض مغامرة التعرف على المجتمع وإقامة جدل عميق معه بإلقاء اللوم على المجتمع وتطالب بمجتمع يحوي مقاييس ومعايير معينة حينها تفتح لها الباب لتنظر للحظوة وتعطي رأيها، دون أن تعي أنه إذا كان المجتمع راق ومتقدم فهو الذي يقوم بخطوة الفعل الأولى إذ ليس بحاجة لوجود النخبة فيه وحينها يمكن الاستغناء عنها لأنها حينذاك بلا وظيفة ولا مهمة ولا فائدة من وجودها.

المراجع

1. ابن المنظور ، لسان العرب،ط1 ، دار النهضة للنشر ، الجزائر ، 1995
2. فريدريك معتوق، معجم العلوم الاجتماعية، بط، مراجعة محمد دبس، أكاديميا، مكتب لبنان، بيروت،1998.
3. http://hamdisocio.blogspot.com/2010/12/blog-post_19.html
4. هشام محمود الإقداحي، سيكولوجية النخبة العليا والزعامة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2009، ص 94.
5. محمد علي محمد، أصول الاجتماع السياسي، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، 2009، ص78.

6. هشام محمود الإقداحي، سيكولوجية النخبة العليا والزعامة ،مرجع سبق ذكره، ص9.
7. عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية، بط، شركة دار الأمة، الجزائر، 1999، ص 251.
8. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، 1900-1945، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992 ، ص 161.
9. خير الدين شترة ، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900-1939، بط، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر،2009، ص 24.
10. سعيد أوكيل وآخرون، استقلالية المؤسسات العمومية الاقتصادية، جامعة الجزائر،1994 ، ص27.
11. تركي رابح، أصول التربية والتعليم، ديوان المطبوعات الجامعية،ط2، الجزائر، 1990، ص 31.
12. رويمل نوال، القيادة وتسيير الموارد البشرية، دار الهدى للطباعة والنشر ،عين مليلة، 2009 ، ص 29.
13. عنصر العياشي ،سوسيولوجيا الديمقراطية والتمرد بالجزائر، مركز البحوث العربية، القاهرة،1999 ، ص16.
14. محمد علي محمد، أصول الاجتماع السياسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2009، ص99.
15. محمد علي محمد، أصول الاجتماع السياسي، مرجع سبق ذكره، ص 36.
16. جمال الدين لعويسات، السلوك التنظيمي والتطوير الإداري، ط1، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2002 ، ص65.